١١- بل تؤثرون الحياة الدنيا

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

[الأعلى:١٦-١٧]

قال السعدي: «تقدمونها على الآخرة وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة، والآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود ولا يبيع لذة ساعة بترحة الأبد»[(١)].

فللأسف ظهرت اليوم ظاهرة الوهن بين صفوف الملتزمين، ورأينا مظاهر حب الدنيا تندس إلى أسلوب حياتنا، حتى ظهر هذا الإيثار الزائل على تربية الأبناء؛ فرأينا من يخاف على ابنه من الاستقامة على شرع الله خشية الأذى المادي أو المعنوي، وآخر يؤثر شهادة فانية أو وظيفة يحتفظ بها لولده ويضحي بما هو نفيس، وهاهي أخرى لا

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[٩٢١].

obeikandl.com

توقظ ابنها لصلاة الفجر من أجل أن يذاكر، وهذا يشترك لأولاده في نادي به ما به من الفساد بحجة عدم حرمانهم وعدم البخل عليهم. فللأسف صارت قضية الدين عند بعض الملتزمين على الهامش، وسيطر حب الدنيا على القلوب حتى علاها.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فقد أوضحت لنا الآية أن الله لم يخلق هذا الخلق هملًا ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم وهو عبادته سبحانه وحمل أمانة التوحيد وتبليغها التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان وكان ظلومًا جهولًا إذا ضيعها.

أمـا والله لـو علـم الأنـام لما خلقوا لما هجعوا وناموا

ولكن قد يتبادر إلى الذهن أننا بذلك ندعو إلى العكوف في المساجد وترك الدنيا والتفرغ للعبادة ليس إلا، وهو مفهوم خاطئ وقاصر؛ فقد أمرنا الله بإعمار الأرض واستخلف بني آدم فيها ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]،

وكذلك أوصانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**».

إذًا فالإسلام يدعو إلى تعمير الأرض وامتلاك أسباب القوة في هذه الدنيا، ولكن ضبطها بضابط فقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] أي أن امتلاك أسباب القوة ومقومات الحضارة هو عبارة شرطية أن تكون ابتغاء مرضاة الله، ومن باب أولى أن تكون كلمة الله هي العليا في منهجية التربية للأبناء، فليس هناك طريق يسمى بالآخرة وطريق يسمى بالدنيا فكلاهما طريق واحد، ولكن حين نخفق في فهم قضية الاستخلاف في الأرض فإننا نحتذي حذو بني إسرائيل الذين فشلوا في اختبارات الدنيا إلا من رحم الله منهم.

إذًا فقضية الإنسان المسلم في الحياة هي العقيدة، وغاية خلقه هي العبادة، ومقومات الدنيا ما هي إلا عوامل مساعدة تخدم قضية التوحيد؛ فلا أهلًا ولا سهلًا بمن ينحي العقيدة بلسان حاله عن الدين، أو يعلي من شأن مقومات الدنيا الفانية على العقيدة الباقية.

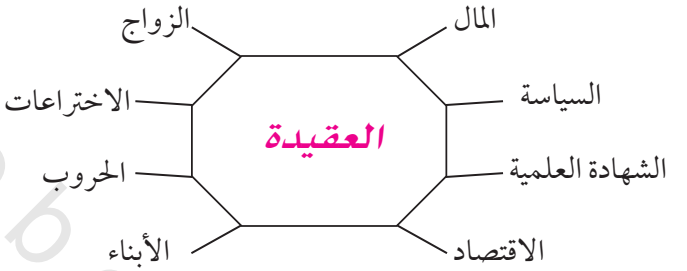

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة:٣٨].

فهذا عتاب من الله إلى الذين كلما طلبهم دينهم لكي يضحوا من أجله رضوا بالحياة الدنيا وتكاسلوا ومالوا إلى لدعة والسكون، «فما متاع الحياة الدنيا التي مالت بكم وقدمتموها على الآخرة إلا قليل، أفليس قد جعل الله لكم عقولًا تزنون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟! أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها لا نسبة لها في الآخرة.. فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه ولا من جزل رأيه ولا من عُدَّ من أولي الألباب»[(١)].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[٣٣٧] باختصار.

لا شك أن حب الأولاد من الأشياء التي فطر الله الناس عليها، وقد قال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ولكن الناس قسمان؛ قسم جعل الدنيا هي المقصد والهدف فانشغلت خواطرهم وجوارحهم بها، وقسم عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها امتحانًا لعباده وعرفوا أنها وسيلة وليست هدفًا.

فحينما يتم تقديم الدنيا في تربية الأبناء على الآخرة بأي شكل من الأشكال فللأسف نقدم حرث الدنيا على حرث الآخرة، ونؤثر الصفيح الفاني على الذهب الباقي، ونحالف قانون السلم القيمي وهو «حين تتزاحم قيمتان وهذا يحل في كل يوم مرات عديدة، فإنه تتم التضحية بالقيمة الأقل شأنًا من أجل الحفاظ على القيمة الأعظم شأنًا، إن نجاح الأبناء قيمة، وهو أحيانًا يتطلب السهر من أجل النجاح إلى ما بعد منتصف الليل كما هو الحال في ليالي الاختبارات وصلاة الفجر في موعدها قيمة أعظم، ولهذا فإن أي سهر من

أجل النجاح ينبغي أن يتم في إطار التمكن من أداء صلاة الفجر في وقتها... السفر لطلب العلم قيمة عظيمة ولكن الاستقامة على أمر الله قيمة أعظم؛ فإذا غلب الظن أن سفر أحد الأولاد للدراسة سيؤثر في تدينه فإننا نتوقف عن إرساله وهكذا...»[1].

الخنساء أرادت حرث الآخرة:

في يوم نادى المنادي أن هبي جيوش الإسلام للدفاع عن الدين والعقيدة ونشر الإسلام في موقعة القادسية، فجمعت أولادها الأربعة وقالت لهم: «يا بني إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] فإذا أصبحتم غدًا إن

(١) «القواعد العشر» أ. عبد الكريم بكار ص[٢١].

شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيت الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وحللت نارًا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في داخل الخلد والمقامة». فلما وصل إليها نبأ استشهادهم جميعًا قالت: الحمد الله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

هكذا كانت النساء اللاتي أرادن حرث الآخرة، وتغلبت على شهواتها وحب الدنيا من أجل الله، علموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، وعلموا أن الله عنده حسن المآب شتان بينها وبين من تمنع ابنها من صلاة الفجر في المسجد لخوفها عليه، أو بمن كان فرحها بالشهادة العلمية أكبر بكثير من فرحها باستقامة ولدها!!

﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

فذكر الله أمرين:

الأول- أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك؛ لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة ويدال عليه أخرى».

الثاني- أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية، وآمال رفيعة، من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين وقمع أعداء الدين فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية والفوز برضوان الله وجنته»[1].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[١٩٩].

لم تنصر دعوة من الدعوات حتى وإن قامت على باطل إلا على الدماء والبذل والجهد، ولكن أعجب كل العجب في جلد أهل الباطل في نشر باطلهم وتضحياتهم الكبيرة لمبادئهم، وعجز من معه الحق فصدق عمر حين قال: «اللهم إني أعوذ بك من جلَد الفاجر وعجز الثقة»، الأمر يكمن في أن الإنسان الملتزم صاحب رسالة وصاحب عقيدة لا يليق به أبدًا أن يركن إلى الدنيا ويطمئن إليها حتى في تربيته لأولاده، يجب أن يؤصل عندهم هذا المعنى. ويجب أن يكون الله عنده أولًا وعقيدته فوق كل شيء وحمل هم دينه في سويداء قلبه لا يفارق ذهنه، لا يكتفي بالحوقلة ولا بالاسترجاع إذا أصاب الدعوة ما أصابها.

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

[الأنفال: ٦٧]

فهذه وصية لكل ملتزم بأن يتقى الله في ولده، فكم من شاب اشتكى حرمانه من لذة الاعتكاف في المسجد، وآخر يشتكي حرمانه من صلاة الفجر بحجة خوف الأهل عليهم، فلو خافوا عليهم حقًا لحرصوا على هداية أولادهم ولقدموا حرث الآخرة على حرث

الدنيا، ولنضع حديث رسول الله نصب أعيننا: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له».

حين أدرك غير المسلمين الحقيقة:

أوضح جان جاك روسو في كتابه «تربية الطفل من المهد إلى الرشد» فقال: «إن المرء ينبغي أن يصون طفله، وهذا لا يكفي، بل ينبغي أن نعلمه كيف يصون نفسه حين يضحى رجلًا، وكيف يحتمل ضربات القدر وكيف يواجه البؤس والنعيم، وكيف يعيش إن اقتضى الأمر في الزمهرير والقيظ... فما من الموت مفر إن واجبك أن تعلمه كيف يعيش لا كيف يتحاشى الموت، والحياة ليست نفسًا يتردد بل هي نشاط واستخدام للجوارح والوظائف الحيوية من سائر عناصر كياننا، وليس أعظم الناس نصيبًا من الحياة من سلخ فيها سنوات أطول، بل من مارسها أكثر من سواه.

وبهذا قد انتهينا بفضل الله ومنه من إحصاء ما كان سببًا في ظهور مشكلة انحراف أبناء الملتزمين مقدمين العلاج والحلول.

ولكن بقيت لنا إشارات على الطريق لا يكتمل العلاج إلا بها:

١- ولا ينبئك مثل خبير «بين النظرية والتطبيق»:

روى المفكر الفرنسي جان جاك روسو في كتابه الطفولة من المهد إلى الرشد: «كانت عندي ست نظريات للتربية ولم يكن عندي أبناء، والآن عندي ستة أبناء وليست عندي نظرية واحدة لتربيتهم!!».

والقصة برغم غرابتها تفيد أن المعرفة النظرية بالتربية لا تكفي وحدها، ولكن لابد من الممارسة العملية والخبرة الشخصية والتجربة والخطأ، فبعض الآباء يرمون نظريات التربية بالفشل وأن التربويين يتكلمون من أبراجٍ عاجية، ولكن ما رأيته ولاحظته هو قصر نفس الوالدين في عملية التربية أو التنفيذ بطريقة خاطئة معلقين فشلهم على هذا الادعاء الباطل!!

«إن التربية عملية تطوير مستمرة، وليست بالعمل الذي يُعتمد فيه على ما علق في ذاكرتنا من تربية والدينا لنا، أو بما يرشدنا إليه الأصدقاء والأقرباء، بل تستلزم منا الشعور العميق بالمسئولية وثقلها، وبضرورة الإعداد والتدريب لها، وحفظ الكثير من القواعد التربوية وتطبيقها والتسلح بمهارات التربية الصحيحة، نعم هي مهارات ليست باليسيرة، تستلزم تعديل سلوكيات الوالدين والمربين والمعلمين أنفسهم، وتطوير أدائهم التربوي»[(١)].

إذًا المطلوب:

١- التنفيذ: إما سيكون وقتًا ممتعًا قضيناه في تجميع معلومات.

٢- الصبر: وتذكر دائمًا أن الصبر هو مفتاح التربية.

«التربية كالحرب تحتاج إلى الرجل المكيث، وعلاقة المربي مع من يربيه تشبه حالة النزال بين المتعاركين، واستعجال الثمرات يضر ولا ينفع»[(٢)].

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٤١٩].

(٢) «دليل التربية الأسرية» أ. عبد الكريم بكار ص[١٩].

٢- تكامل جوانب التربية:

ما فائدة أن شخص استحضر النية الصالحة في الإنجاب ثم بعد ذلك أهمل الجانب النفسي في التربية؟! أو أنه اهتم بالتربية الإيمانية وكان فظًا غليظًا في تعامله؟! فلا يصلح الاهتمام بجانب تربوي مع إهمال جانب آخر وإلا سيكون البناء مختلًا، يجب أن يستقي الابن من كلبناينابيع التربية؛ فالتربية الإيمانية إلى جانب التربية النفسية إلى جانب القدوة الصالحة إلى آخر هذه الجوانب.

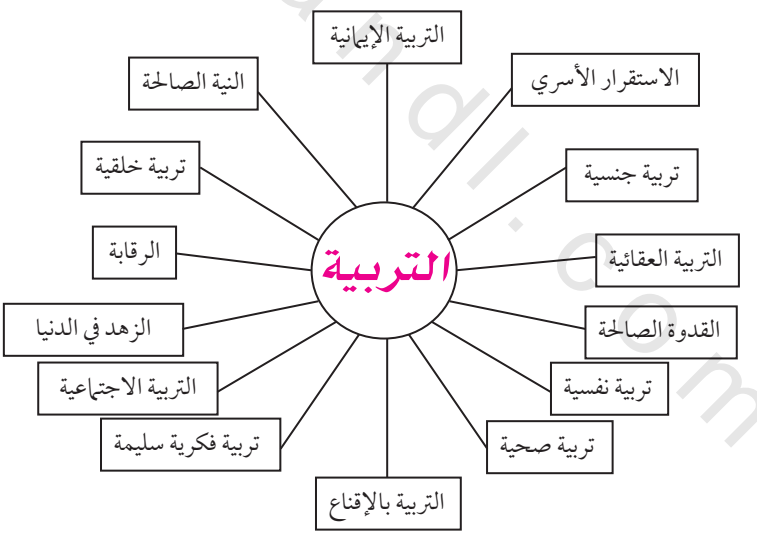

يقول الدكتور عبد الله ناصح علوان موضحًا قاعدة الربط: «من المؤكد يقينًا أن الولد إذا ارتبط وهو في سن الوعي والتمييز بروابط اعتقادية ورابط روحية، وروابط فكرية، وروابط تاريخية، وروابط اجتماعية، وروابط رياضية... إلى أن تدرج يافعًا، إلى أن ترعرع شابًا، إلى أن أصبح رجلًا، إلى أن انحدر كهلًا... فإن الولد ولا شك يصبح عنده من مناعة الإيمان وبرد اليقين وحصانة التقوى... ما يجعله أن يستعلي على الجاهلية، ويهزأ بها بكل تصوراتها واعتقاداتها ومبادئها وأضاليلها، بل يكون ثورة شعواء على كل من يقف من نظام الإسلام موقفًا معاديًا كما وينال من مبادئه الخالدة نيلًا حاقدًا»[(١)].

٣- التربية الجنسية:

حين يعتقد الطفل بأن نوم أمه إلى جانب أبيه كاف لإنجاب الأبناء، أو حين يعتقد بأن القبلة هي السبب وراء الإنجاب، أو حين يصل من أي مكان في الجسد تولد الأطفال، يتحول الأمر عند الأبناء

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» ص[٥٨٦].

إلى لغز لا يجد له حلًا. فيبدأ الابن باستقاء المعلومات من مصادر مغلوطة وغير مسئولة، فمن الأصحاب تارة ومن الكتب تارة حتى يصل إلى حل اللغز ولكن للأسف لا يصل سالمًا، فالمعلومات التي استقبلها منها السليمة ومنها المتردية والنطيحة.

إن مسألة التربية الجنسية صارت مهملة وللأسف عند كثير من الآباء والأمهات، وهو ما يحتم علينا الانتباه لتثقيف أبناءنا من هذه الناحية، فـ«المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس، وترتبط بالغريزة، وتتصل بالزواج...»[(١)].

فالأبوان هما من يحتمل المسئولية أولًا وأخيرًا في هذه الأمور، والله إن القلب ليحزن عندما يرى أبًا تاركًا ولده حائرًا يستقي من هنا تارة ومن هناك تارة، كم قابلت من الشباب لا يعلمون شيئًا عن الاستحداد وقد وجب عليه منذ سنين، وآخر عندما احتلم أراد الذهاب للطبيب!! وثالث لا يعلم معنى الجنابة ولا كيفية التطهر

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٣٧٣].

منها، بل ورابع اتصل بي مصدومًا حين علم من صديقه عن كيفية الاتصال الجنسي الذي به يكون الولد.. هذا غيض من فيض وقليل من كثير.

«إن عدم توعية الولد لنموه الجسدي وتطوره وخاصة عندما يصل لمرحلة البلوغ قد يجعله فريسة للمعلومات الخاطئة المشوشة التي قد يسمعها من الآخرين أو الخرافات والأوهام، وقد يعرضه أيضًا لاستغلال من يتعرض له بالأذى أو الاعتداء... لم يعد هناك أي مكان في وقتنا الحاضر للتحفظ على نقل المفاهيم الجنسية الصحيحة لأولادنا؛ لأننا إذا لم نقم بذلك، فهناك أسئلة ملحة في عقولهم يجب أن يجاب عليها وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يجب أن يملأ فضولها»[1].

إن الواقع يفرض علينا تحديًا صعبًا، ففي ظل التقدم التكنولوجي الذي نعيشه يستطيع الأبناء بضغطة زر واحدة أن يكونوا في وسط العالم بكل سهولة ويسر، أيضًا ما نعانيه من سهولة وانتشار الإباحية

(١) «ألف باء الحب والجنس» د. ليلى الأحدب ص(١٩٥، ١٩٧) بتصرف.

في وسائل الإعلام حتى صارت على أجهزة المحمول، يجب علينا أن نراجع أنفسنا ونبدأ في تحمل مسؤولية التوعية الجنسية للأبناء، لكي لا يتم الاستقاء من الخارج بالمعلومات الخاطئة، ولكي نسد بابًا ينتظره الشيطان ليدخل منه، ولكي نكمل دورنا كآباء وأمهات ونرعى من سيسألنا الله عنهم.

وهذه بعض الوصايا[1]:

١- تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل كما بينها الله في سورة النور ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [النور:٥٨-٥٩].

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٣٧٣] باختصار وتصرف.

٢- من القضايا الهامة التي يجب أن يركز المربي عليها، ويهتم بها أن يعود في سن تمييزه آداب النظر حتى يعلم ما يحل من النظر إليه وما يحرم، وفي ذلك صلاح أمره، واستقامة أخلاقه إذا شارف البلوغ وبلغ سن التكليف، إضافة لما يتعلق بالنظر إلى العورة.

٣- من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين؛ تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي، ونضجه الجنسي، والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعًا، فهذا يوجب معرفتهم بالاحتلام وكيفية التطهر من الجنابة، والفرق بين المني والمذي والودي، إضافة إلى سنن الفطرة المتعلقة بهذا الأمر كالاستحداد وحلق الإبط وإعطاءه الحكم الشرعي لها، وكذلك الفتاة يجب أن تُصَارح إذا ذكرت احتلامًا بهذه الأمور إضافة إلى المصارحة بدم الحيض وكيفية التطهر وأحكامه الفقهية، ويراعى في ذلك:

(أ) المصارحة بهذه المعلومات قبل حدوثها، وهذه مهمة الوالدين لكي لا يفزع الأبناء حين تحدث هذه التغيرات؛ فكم من

فتاة حسبت أن الحيض نزيف؟! وكم من ولد حسب أن نزول المني منه حين استيقظ من نومه مرضًا؟! أدرك أن هذه المهمة صعبة ولكن كم من شاب وفتاة بات ضحية الحيرة والخوف؟!

(ب) إدراج النصوص الشرعية في إيصال هذه المعلومات لكي تصل إلى ذهن الأبناء أن هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن الإسلام ما ترك شاردة ولا واردة إلا وأشار إليها، وأنه لا حياء في العلم.

٤- المصارحة بأمور الاتصال الجنسي وهي من المحطات الصعبة والمعقدة في التربية عمومًا وليس التربية الجنسية وحسب؛ فأسئلة الأبناء في هذه النقطة محرجة للغاية، وللأسف يتم التعامل معها بالتهرب وأحيانًا بإجابات غير صحيحة، والذي يبدو من الأدلة الشرعية التي سنعرضها أنه يجوز للمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة، وإليكم هذه الأدلة:

- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:٥-٧].

- ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ﴾ [البقرة:١٨٧].

- ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ [البقرة:٢٢٣].

- ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٣].

- ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

- ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾.

[الإسراء:٣٢]

فكيف يفهم الولد وهو في سن التمييز والتعقل تفسير هذه الآيات وأمثالها إذا لم تتضح لديه من قِبَل معلمه أو مربيه حقائقها وما يراد منها؟

ولا يمكن أن يقول متبصر عاقل: إن على المعلم أو المربي أن يطمس معاني هذه الآيات بتفسيرات أخرى لا تمت إلى المعنى المراد بصلة، أو أن يمر عليها مرور الكرام دون توضيح لها، أو تفسير لمضمونها؛ لأن هذا المسلك غير سليم ويتنافى مع قواعد التربية الإسلامية الأصيلة، ويتناقض مع دعوة القرآن الكريم إلى فهمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

فعندما يسأل الابن عن العلاقة بين الجنسين فيجب إجابته بما يناسب سنه وعقله دون الكذب عليه، أو أجوبة خاطئة لا تزيد الأمر إلا تعقيدًا، فمن الممكن تقريب الأمر له عن طريق شرح طريقة التلقيح في النبات، وأنه لا ثمرة بغير تلقيح كما أنه لا حمل إلا بهذا الاتصال الجنسي، ووضع الأب بذره تجعل الطفل ينمو في بطن الأم، وهكذا حتى تكمل عنده الصورة، كما أن المصارحة في هذا الأمر تختلف من سن لآخر، بل ويجب التوعية ضد الانحرافات

الجنسية وأضرارها وأحكامها، فإن هذا يعد من أعظم الوسائل الإيجابية للبعد عن هذه الانحرافات.

ويجب على الأبوين عند التحدث في هذا الأمر إدراج النصوص الشرعية أن يوصلا الإبن أن هذه الفطرة التي فطر الناس عليها أيضًا «حاول أن تكون إجاباتك بسيطة ومباشرة وصحيحة من غير أن تعقده بتفصيلات علمية فوق فهمه وطاقته، وحاول أن لا تعطيه انطباعًا أن الأمور الجنسية أمر معيب بالضرورة، أو تعطيه الانطباع أنك لا تسمح له بالحديث في مثل هذه المواضيع، وحاول أيضًا من طرفك أن تتكلم معه بالطبيعة التي تتكلم معه فيها في قضايا الحياة الأخرى»[(١)].

٥- وهناك خطأ يرتكب ألا وهو الاعتقاد بأن التربية الجنسية هي معلومات تعطى مرة واحدة، دفعة واحدة وينتهي الأمر، وذلك إنما يشير إلى رغبة الوالدين أو المربي في الانتهاء من واجبه المزعج بأسرع وقت، لكن يجب إعطاء المعلومات على دفعات بأشكال

(١) «ألف باء الحب والجنس» د. ليلى الأحدب ص[٢٢٨].

متعددة مثلًا عن طريق كتاب، أو درس في المسجد، كي تترسخ في ذهنه تدريجيًا ويتم استيعابها وإدراكها بما يواكب نمو عقله»[(١)].

وفي نهاية المطاف كان هذا مجرد استعراض بسيط لعنصر تربوي بالغ الأهمية علنا نلتفت له ونسعى في التطبيق لا أن نتركه حبيس الكتب، و«لم يعد هناك أي مكان في وقتنا الحاضر للتحفظ على نقل المفاهيم الجنسية الصحيحة لأولادنا لأننا إذا لم نقم بذلك، فهناك أسئلة ملحة في عقولهم يجب أن يجاب عليها، وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يجب أن يُملأ فضولها، فلتكن تربيتنا بعيدة عن الفراغات متجنبة للثغرات قدر المستطاع، وإلا حلَّت المفاهيم الخاطئة في العقول، واستعمرت النفوس، وترسخت في الصدور، مما يجعل اقتلاعها فيما بعد مهمة صعبة جدًا، لذلك فإن من الواجب أن نبتعد بأولادنا عن الهزَّات والبراكين التي قد يتعرضوا لها إذا لم نبنِ معلوماتهم في كل نواحي الحياة على أساس راسخ من العلم والإيمان»[(٢)].

(١) «موقع المسلم» مقالة بعنوان التربية الجنسية.

(٢) «ألف باء الحب والجنس» د. ليلى الأحدب ص[١٩٧].

«فالتربية الجنسية للطفل يجب ألا تترك للصدفة، بل لابد أن تبدأ في المنزل وتستمر في المدرسة، وعندما يكبر الطفل ويصبح في مقتبل سن المراهقة تعطى له معلومات واضحة عن الجنس السليم ومخاطره إذا انصرف الفرد وانساق وراء نزواته»[(١)].

٤- مرحلة المراهقة:

من أخطر مراحل التربية، فهي القنطرة بين الطفولة والرشد، مليئة بالتصرفات الغريبة والاضطرابات، يعتبرها الآباء أزمة ومرحلة عواصف هوجاء وزوابع، الأمر الذي يدفع للكتابة في هذا العنصر هو جهل الوالدين بالتعامل مع الأولاد في هذه المرحلة مع العلم بأنها من أشد المراحل احتياجًا للحذر والوعي في المعاملة وإلا ترتب عليها ما لا يحمد عواقبه.

«المرهقة تشير إلى تلك الفترة التي تبدأ من البلوغ الجنسي حتى الوصول إلى النضج، فالمراهقة إذن تشير إلى فترة طويلة من الزمن وليس لمجرد عارضة زائلة في حياة الإنسان، فالمراهقة عبارة

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» د. مصطفى محمد الطحان ص[٢٨٣].

عن مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرجولة، وهي تمثل مجموعة من مظاهر النمو التي لا تصل كلها إلى حالة النضج في وقت واحد، وهي مرحلة خطيرة.. بل هي الأخطر في حياة الإنسان»[(١)].

خصائص المرحلة:

١ - «من الناحية الجسمية تبدأ حالة من النمو السريع قبل سن البلوغ الجنسي بعام، وتستمر على هذا النحو مدة قد تصل إلى عامين أو أكثر، حيث تستطيل عظام الفتى، وتأخذ سمكًا جديدًا سريعًا وتأخذ العضلات في التكور والاشتداد، وتبدأ الغدد التناسلية في إفراز الهرمونات الخاصة بها، مما ينتج عنه ظهور الشعر في بعض أجزاء الجسم[(٢)]... ولكن نتيجة للنمو السريع الذي يفوق طاقته قد يصاب المراهق بالكسل والفتور، وينبغي عدم لومه على ذلك بل مساعدته في المرور من هذه المرحلة بسلام؛ فالتوبيخ أو التقريع قد يؤدي إلى نتائج غير سارة».

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[٢٩٦].
(٢) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[١٩٨].

٢- «يمتاز المراهق من الناحية الانفعالية والشعورية برهافة الإحساس، فهو يثور في كثير من الأحيان لأتفه الأسباب، كما هو شأن الأطفال الصغار، كما أن المراهق يجد نفسه في الفترة الأولى من المراهقة ضعيف التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية، حيث إنه إذا غضب، أو أثير يصرح ويرفس ويدفع الأشياء، ويبدو شيء من هذا عند شعوره بالفرح، فهو يقوم بحركات لا تدل على الاتزان الانفعالي»[1] أيضًا يشعر المراهق بالخجل نتيجة للنمو المفاجئ الذي طرأ على جسده مما يدفعه للاهتمام بنظر المحيطين به، مما يلاحظ أيضًا ميله إلى سلوك التحرر والتمرد ورغبته في مقاومة أي سلطة تمارس عليه.

٣- «عند بدء مرحلة المراهقة يرتفع مستوى الوعي الجماعي، حيث يبدي المراهق حاجة ملحة للانتماء إلى جماعة، ولاسيما حين يلاقي من والديه شيئًا من الضغط والتوتر. وهو يلح على محيطه الاجتماعي بإصدار الموافقة الضمنية على تصرفاته، وعدم الاعتراض عليها. وبما أن هذا ليس ممكنًا دائمًا فإن المراهق يبحث عن مجموعة

(١) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[١٩٨].

ضيقة ينتمي إليها، ويشيد بها، حيث يرى فيها النموذج الاجتماعي الأكثر ملاءمة لسنه ووضعه، وهو يخلص لتلك المجموعة أو (الشلة) إخلاصًا شديدًا، ويرى أنها في آرائها وسلوكياتها، تقدم له دعمًا خفيًا ومظاهرة قوية في موقفه تجاه سلطة والديه أو المدرسة»[(١)].

٤- قسم العلماء المراهقة إلى ثلاث مراحل:

مرحلة المراهقة الأولى (١١- ١٤) تتميز بتغيرات بيولوجية سريعة.

مرحلة المراهقة الوسطى (١٤- ١٨) مرحلة اكتمال التغيرات البيولوجية.

مرحلة المراهقة المتأخرة (١٨-٢١) مرحلة ظهور الرشد في التصرفات.

التعامل مع المراهق «ما هو المطلوب؟»:

«إن مشكلتنا معاشر المربين أننا كثيرًا ما نجد أنفسنا عاجزين عن مواكبة التغيرات السريعة التي تطرأ على شخصيات أبناءنا في

(١) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[٢٠١].

obeikandl.com

مرحلة المراهقة، فنعاملهم على أنهم أطفال غير قادرين على تدبر أمورهم كما نسيء فهمهم في بعض الأحيان، فنظن أنهم يناصبوننا العداء، أو أنهم فقدوا ولاءهم لأسرهم وباتوا يبحثون عن استقلال تام عنا»[(١)].

لا يسع الوقت لحصر كل الوسائل في التعامل مع هذه المرحلة ولكن سنستعرضها باختصار:

١- تقدير ما يمر به من تغيير وتطور في البنية الجسمية والعقلية وذلك «أن الآخرين ينتظرون منه سلوكًا ينم عن النضج، فهذا التطور والنمو الجسمي يجعلهم يتوقعون منه نضوجًا في سلوكه العقلي والاجتماعي، فإذا لم يحسن التصرف كما يريدون كان هدفًا لنقدهم...»[(٢)]، يجب أن نضع المراهق في مكانته الحقيقية فإنه لم يصبح رجلًا وإن كان هو يرى ذلك وهو ليس بطفل، وإن كانت تصرفاته توحي بذلك. «من الصعوبات التي نراها لدى الفتيان في هذه المرحلة تتعلق في جزء منها بسبب قصور في التركيب العصبي

(١) «دليل التربية الأسري» عبد الكريم بكار ص[٢٠٤].

(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[٣٠١].

لدماغهم، فكلمة: «أنت رجل وهذا لا يليق بك» تعبير غير صحيح أبدًا، كنا نعتقد أن نمو الدماغ يكتمل مع نهاية مرحلة الطفولة، لكن الأبحاث التي أجريت في المعهد الوطني للصحة النفسية في أمريكا تشير إلى أن دماغ الفتى بين سن الثالثة عشر وسن العشرين ما زال قاصرًا، وفي مرحلة النمو والتطور وخاصة تلك المناطق المسؤولة عن اتخاذ القرار والتقييم الصحيح للأمور وضبط النفس والانفعالات»[1]، نحن لا ندعو إلى التدليل الزائد ولا للمعاملة الصارمة، ولكن ندعو لتفهم هذه المرحلة الحرجة وأن نكون متوازنين في التعامل معهم.

٢- «لابد من أن يحاول الأب معاملة ابنه على أنه صديق له، وأن تحاول الأم معاملة ابنتها على أنها صديقة لها، فيتشجع كل منهما على بث همومه وتطلعاته وعلى الحديث عن آرائه العامة في القضايا المختلفة، فتسود الصراحة، ويلقي المراهق عن كاهله كثيرًا من الأعباء التي تقض مضجعه.

(١) د. ياسر عبد الكريم بكار، لقاء مع موقع المربي.

إن المراهق كثيرًا ما ينطوي على نفسه، وكثيرًا ما يستحيي من التحدث عن بعض الأمور، ومن واجبنا أن نشجعه على الانفتاح والبوح، وأن نقف موقف الحكيم المتفهم لما يصارحنا به»[(١)].

٣- تلبية حاجته للاستقلال عن طريق تخصيص مبلغ أسبوعي أو شهري لمصروفه الشخصي، كذلك إتاحة الفرصة في اختيار ملابسه وشرائها في ضمن إطار المعروف والمعقول، «المهم أن يشعر أننا مدركون للقدرات الجديدة التي اكتسبها، وأن يشعر أن ثقتنا به تتصاعد كلما شب عن الطوق ودنا من مرحلة الرجولة»[(٢)].

(١) «دليل التربية الأسرية» أ. عبد الكريم بكار ص[٢٠٦].
(٢) «دليل التربية الأسرية» أ. عبد الكريم بكار ص[٢٠٥].

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة

وفي نهاية المطاف... نود أن نكون أبلغنا الرسالة لمعاشر الملتزمين، في محاولة لترميم هذا الشرخ الكائن بالتيار الإسلامي، ومحاولة لتقنين الخسارة البشرية التي لحقت بالتيار بانحراف هذه الفئة.

فأهمس في أذن إخواني أن بإهمالنا لقضية التربية نقدم صفقة رابحة لأعداء هذه الأمة، فالعلاقة طردية بين التربية وبين كثرة سواد التيار الإسلامي، وكيف لا؟! والبشر هم الأساس الذي ترتكز عليه بقية عناصر القوة، فكم خسرنا من إمكانات ومواهب وقدرات بسبب إهمالنا وجهلنا بأمر التربية.

فيجب علينا خلع عباءة الجهل واستبدالها بعباءة العلم، واستبدال الخبرات العجاف المبنية على الخبرات الخاطئة والمعلومات المتردية بالخبرات السمان القائمة على العلم والوعي والخبرة الصحيحة.

إن أعداء هذه الأمة يعملون على قدم وساق من أجل إفساد شبابها ونشر الأفكار الباطلة بينهم ويعملون جاهدين لتوجيه الضربات للتيار الإسلامي، فلا يليق بأبناء التيار الإسلامي أن يأخذوا الأمر على محمل الهزل والترف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

obeikandl.com